الموضوعات الشعرية في شعر خالد الفرج

الاستاذ المساعد الدكتور
جاسم غالي رومي المالكي
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص:-

يُعّدُ الشاعر خالد الفرج من أعمدة الشعر الكويتي المعاصر ، وهو أحد أبرز الداعين إلى التجديد في الشعر الكويتي وإخراجه من دائرة التقليد المقيت للشعر العربي القديم وذلك من خلال التجديد في مفرداته بما يلائم العصر الذي نعيش فيه بعيداً عن الوقوف على الديار والمقدمة الطللية أو الغزلية وذكر الرسوم الدارسة. ولكن على الرغم من اهتمامه بالموضوعات التقليدية القديمة وبأسلوب جديد إذْ عالج المشاكل الاجتماعية والانسانية التي تخص الكويت والوطن العربي . كما عالج في شعره مشكلة المياه والتعليم وتحرير فلسطين . ولكن بأسلوب فني دقيق يخدم القصيدة الكويتية والعربية على حدٍّ سواء .

Poetic Themes in the Poetry of Khalid Al –Faraj

Assist .Prof. Dr.Jasim Ghai Rumi Al-maliki
Basra University/ Centre for Basra and Gulf Studies

Abstract:

The poet Khalid Al-Faraj is one of the most important poets in contemporary Kuwaiti poetry. He is the most prominent poet calling for renewal , driving it out of the abhorrent circle of imitation of old Arabic poetry through renewal in his vocabulary to fit the era in which we live, far from addressing homes, the madrigal introduction and mentioning the forgotten portrayals. Though his interest in ancient traditional themes he dealt with social and humanitarian problems which concerns Kuwait and the Arab world . He also dealt with the problem of water, education and the liberation of Palestine in an artful manner that serves both the Kuwaiti and Arab poems.

المقدمة

يعرف الشاعر خالد الفرج في الكويت وفي الدول التي سافر إليها واستقر فيها كالهند والبحرين والمملكة العربية السعودية بأنه شاعر المناسبات العامة التي كان يشارك فيها كالمناسبات الاجتماعية والسياسية والوطنية، كما يذكر اغلب النقاد انه لم يتحدث عن نفسه وحياته الاجتماعية بسبب هذه الأمور السالفة الذكر. وارتباطه بأغلب القضايا الوطنية والسياسية التي كانت تضطره للرحيل من مكان إلى آخر لتلبية هذه الواجبات المناطة به كشاعر قومي ووطني . فهو مرة في البحرين لمقارعة الاستعمار البريطاني ومرة في الجزيرة العربية مع الملك عبد العزيز في حربه ضد الدويلات الأخرى حاثاً لهُ على توحيدها تحت رايته . وإعانته للجامعة العربية كنواة فتية للوحدة العربية مُتخذاً من بعض رموز هذه الأمة نماذج لوحدتها مقارناً بين تجاربهم في سفرهم للغرب وإطلاعهم على الحضارة الغربية مع حال الشرق الذي يعيش الظلام والفقر والتخلف كيونس بحري وعبد اللطيف الثعالبي وغيرهم .

والملحظ على شعر خالد الفرج انهُ يدور حول قضايا وموضوعات متميزة إلا إنها تبتعد عن ذاته مما يجعلنا لا نستطيع ان نميز بين عاطفته وأحاسيسه وبين حسه الوجداني تجاه قضايا أمته الوطنية والسياسية . إذ يدل هذا على وجود طاقة عاطفية كامنة في ذاته استطاع أن يسخرها في شعره على شكل صور حسية غاية في الدقة أملاً في تحقيق أمنياته في وحدة هذه الأمة وتخليصها من شباك الاستعمار ومخلفاته.

لذا فقد جاء الموضوع في مقدمة وعنوانين ، الأول (خالد الفرج حياته وثقافته وصلاته مع الأمراء والملوك) درسنا فيه نبذة عن حياته الاجتماعية والعلمية وسفره من بلده الكويت إلى الهند والبحرين والسعودية وعوامل ثقافته واتصاله بالأمراء والملوك ومكانته لديهم. أما العنوان الثاني (الموضوعات الشعرية في شعره) درسنا فيه بيان حال الأمة مع الاستعمار وكذلك عوامل الوحدة والتعليم لضمان تخليص الأمة من التخلف والجهل ، وكان منهجنا تنظيرياً وتطبيقياً قائماً على نماذج من شعره من خلال ديوانه.

العنوان الأول : خالد الفرج حياته وثقافته وصلاته مع الأمراء والملوك

يُعدّ الشاعر خالد الفرج من أعمدة الشعر الكويتي المعاصر ، وهو احد ابرز الداعين إلى التجديد في الشعر الكويتي وإخراجه من دائرة التقليد المقيت للشعر العربي القديم وذلك من خلال التجديد في مفرداته بما يلائم العصر الذي نعيش فيه بعيداً عن الوقوف على الديار والمقدمة الطللية أو الغزلية وذكر الرسوم الدارسة ، على الرغم من اهتمامهم بالموضوعات التقليدية القديمة وبأسلوب جديد من إذْ معالجة المشاكل الاجتماعية والإنسانية التي تخص الكويت والوطن العربي . كما عالجوا في أشعارهم مشكلة المياه والتعليم وتحرير فلسطين ، ولكن بأسلوب فني دقيق يخدم القصيدة الكويتية والعربية على حدً سواء .

ومهما يكن فان الكويتيين كانوا يعدون الشاعر خالد الفرج شاعر الخليج العربي لجودة شعره وفنه في هذا المجال الفكري الذي يخدم المجتمع الكويتي والعربي ومساعدته في نمو الحركة الفكرية لدى سكان هذه المنطقة . لذا يُعدّ النموذج المثالي في نمو الحركة الشعرية في منطقة الخليج العربي في تلك المدة . وذلك باتخاذ نماذج الشعر القديم وتطويعها في رسم صوره الحسية عن حياة هذا المجتمع . ومنها إصرار الشاعر على العناية بالنظم الفني من خلال شعر المناسبات التي مرَّ بها الكويت والوطن العربي كأن تكون مناسبات سياسية واجتماعية ، من خلال تذويب ذاته في قصائده الشعرية وتنوع موضوعاتها وبث عاطفته فيها لتكون اكثر موضوعية . إذْ لا نستطيع أن نُميز عاطفته من حماسته وموضوعه الذي نظم فيه هذه القصيدة أو تلك[١].

وعلى الرغم من هذا كله فإننا لا نستطيع تحديد مسار حياته الاجتماعية والشعرية وذلك بسبب تنقله وعدم الاستقرار في مكانٍ محدد من عالمه وضياع الجزء الأكبر من أمور حياته اليومية دون تأصيل لذلك . وكذلك مصادر ثقافته التي اكتسبها من خلال تنقله في هذه البلدان، مما جعل اغلب شعره يكون في مناسبات حدثت هنا وهناك ، ضاع اغلبها وبخاصة شعره الذاتي او الوجداني أو ميله الاجتماعي والنفسي[٢].

فقد دلتنا اغلب المراجع انه ولد في مدينة الكويت سنة ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م . وهو من عائلة معروفة بالغنى وحب العلم ، مما سهل لهُ فرصة التعلم والتعليم كذلك . درس في الكتّاب أصول القراءة والكتابة والرياضيات وبعض العلوم الدينية والفقهية التي كانت تدرسها الكتاتيب في تلك المدة من حياته، ومما ساعده كذلك على زيادة تعليمه ثراء عائلته ، من خلال تخصيص عدد من المدرسين الخصوصيين مع توفير القدر الكافِ من الكتب والمصادر التي أعانته في زيادة ثقافته العلمية والأدبية. مما سهل لهُ أن يلتحق بالمدرسة المباركية آنذاك إذْ ساعدته حدة ذكائه وحصيلته العلمية الجيدة أن يجتاز كل صفين بمرحلة واحدة وسرعة تخرجه منها، إذْ عُين فيها بصفة مدرس وهي وظيفة ذات مكانة رفيعة في مجتمعه[٣].

وبعد ذلك أصبحت أخبار الشاعر متذبذبة بسبب اشتغاله بالتدريس في هذه المدرسة وقد استمرت هذه الأمور على هذا الحال حتى سنة ١٣٣٦هـ-١٩١٧م. وهي السنة التي ترك فيها الشاعر خالد الفرج التدريس في هذه المدرسة وغادر الكويت إلى الهند مستقراً في مدينة (بومباي)ممهداُ لحياته الجديدة التي كان يحلم بها بعد أن ضاق ذرعاً بالحياة في بلده الكويت على الرغم من مكانته كمدرس في المدرسة المباركية . واشتغاله في بومباي كاتباً لدى احد التجار الكويتيين ، وبعد ترك هذه الوظيفة أسس لنفسه مطبعة خاصة أطلق عليها (المطبعة العمومية) جعلها مختصة بطبع الكتب العربية للجالية العربية هناك ليطلعوا على تراثهم العربي الأصيل[٤].

وقد سعى خالد الفرج في هذه المدة لتعلم اللغة الانكليزية ، وكذلك اللغات الهندية ليتمكن من دراسة الأدب الهندي على مختلف أنواعه وطوائفه . ولكننا حينما تتبعنا ديوانه لم نجد أثراً لهذه اللغات في أشعاره بل ظل محتفظاً بثقافته العربية في نظم اغلب قصائده[٥].

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر خالد الفرج لم يطل بقاؤه في الهند إذْ تركها متوجهاً للبحرين وذلك في سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م، وفيها اتصل بأميرها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الذي رحب به وأكرمه وقربهُ له . مما ساعد الشاعر على أن يبقى بالبحرين

والمكوث بها طويلاً . وقد عينه الشيخ عيسى أستاذاً في المدرسة التابعة للإمارة وهي مدرسة (الهداية الخليفية) وقد اختير آنذاك من قبل الشيخ عيسى عضواً في المجلس البلدي لمدينة البحرين هذا مما جعل الشاعر أكثر استقراراً وأكثر اطمئناناً في البحرين ، ومن هنا نجده قد أشاد بحاكم البحرين وتغنى بعروبة البحرين وسجل مآثرها في التصدي للاستعمار البريطاني، إذ يقول مسجلاً ذلك في قصيدة طويلة نقتطع منها بعض الأبيات[٦]:

يا درة وسـط الخليج تلألأت وزهت عليه بنـورها الـوقادِ
الدر من حصـبائها والتبر من امواهها والمجـد في الأولاد
تلقى النزيل بمثل شهد نخيلها وتضمه بالصـدر والأعضادِ
والمجد فيها شـامخٌ متقادم (لثمود) يرجع عصره او عادِ
في كل شـبر قلعةٌ أو مسجدٌ هذيك ظاهـرة وذلك بـادي
وبكل يـوم طـود مجد قائم مجد طريـف فوق مجد تلادِ

هنا يتوقد الحس السياسي لدى الشاعر بكل قواه مسجلاً مجد تلك البلاد في مقارعة الاستعمار من خلال الصمود والبناء وممارسة الحياة بكل بساطتها وعطاء حاكمها وشعبها منذ القدم في السعي للتطور والعمران المدني.

ولهُ في قصيدة أخرى وفي الديوان نفسه اسماها (الشرق والغرب) مقطوعة أخرى يصف فيها البحرين وشعبها وحاكمها الذي اشتهر بالعدل والإنصاف ومعاداته للاستعمار الانكليزي مما حدا بالميجر (ديلي) الحاكم أو المندوب السامي الانكليزي على البحرين بالقضاء على شيخها وحكمه في سنة ١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م . وقد عجل هذا الأمر برجوع الشاعر إلى بلده الكويت ، إذ يقول واصفاً ذلك[٧].

وهـذه البحرين مغلـولة يقودها الغرب إلى حفرته
يخنقـها الغربي في كفها وباسمها يستر من سوأته
مسيطر في كـل أعمالـها يندمج الكل بشخصيته
ما قيصر الطاغي على ظلمه أقل ظلماً منهُ في سلطته

وبعد رجوع الشاعر من البحرين للكويت استقبل استقبالاً مهيباً، إذْ ألقى في هذه المناسبة قصيدته آنفة الذكر وهي (الشرق والغرب)، وهي من شعره السياسي إذْ توقدت فيها العاطفة مع السياسة حتى أثمرت لنا هذه القصيدة . واصفاً حال الشرق وتخلفه وسطوة الغرب عليه وسلب خيراته واستعباد أهله وجعلهم عبيداً له. مما شجع الشاعر على ذلك الموقف هو اتصاله بالشيخ خليفة ومصاحبته بكل مواقفه ، وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر قد بدأ شعره السياسي إبان مصاحبته الشيخ خليفة في سنة ١٣٤١هـ-١٩٢٢م.

وفي الديوان نفسه له قصيدة نظمها بحق الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين جاءت بعد عزل أبيه ، عاتباً عليه بعدم نصرته ووقوفه معه في هذه المحنة التي نزلت به ، وتكمن هذه المحنة بمنعه من دخول البحرين ربما تكون سياسية أو عدم رغبة الحاكم الجديد في دخوله لإمارته.قد تكون معلنة أو غير معلنة ، إذ يقول واصفاً ذلك الحال[٨]:

مدحتـكم في خالدات القصائد امجـد ذكـرى واحدٍ بعد واحدِ
رجـاء رضاكم لا رجاء نوالكم لأن الرضى عندي أجل الفوائد
جعلتـكم ذخراً لكل شـــديدة فأسلمتموني في عظام الشدائد
ولو كان جرمي واقعاً قلت إنني جنيت ويجـني بذرة كل حاصد
فدى لكم نفسي إذا كان موتها يقيكم ، ويفديكم طريفي وتالدي
ومـا بي إلا أن أعودن كاذباً فما سامع الأقوال مثل المشاهد

وبعد رجوعه للكويت لم يستقر الشاعر بها طويلاً على الرغم من استقباله من قبل أهلها بكل حفاوة وتقدير عاليين ، لكنه لم يطب له البقاء هناك، إذْ رحل خالد الفرج إلى السعودية اذ استقر بها في رحاب مليكها المرحوم عبد العزيز بن سعود. وقد ساعده في ذلك السيد هاشم الرفاعي وهو من أدباء الكويت المعروفين آنذاك والمكلف بإدارة الشؤون المالية لمنطقة القطيف في السعودية وكذلك لمعرفة الشاعر بعدم السماح لهُ من قبل الاستعمار البريطاني من دخول البحرين فأسرع لقبول فكرة السيد هاشم الرفاعي ، لذا فقد رحب به الملك عبد العزيز ترحيباً كبيراً وولاه بلدية الإحساء ثم بعد ذلك بلدية القطيف ، مما ساعد الشاعر ان يكون خير مادحٍ لهً وأشاع ذكره في الجزيرة العربية .

وقد بدأت صفحة جديدة في حياة خالد الفرج باتصاله بالملك عبد العزيز الذي جعله رمزاً لتحقيق آماله في وحدة الجزيرة العربية والدفاع عنها مدوناً بقصائده انتصارات هذا الملك على أعدائه . إذ يقول في قصيدته (الوحدة) مرحباً بالملك عبد العزيز حين جاء إلى منطقة الإحساء وتحديداً في ١٣٥٠هـ -١٩٣١م قائلاً [٩]:-

هو الشـــعب أفراده والأسـر يعيـش ويحيا حياة الشجر
أصـول عليـها تقوم الفروع إلى أن علا دوحها وانتشـر
قـد اتصلت بالأصول الغصون فجاءت بأوراقـــها والثمر
وان فصـل الغصـن من أصله ذوت منهُ أوراقـــه والزهر
وما افترقت امـــة فرقتين فباء الجميـع بغيـر الضرر
أعبد العـزيز فدتـك النفوس وهل بعد ذلك مـن مدخر؟
عُلام الجزيـرة فوق الخريطة برقاء قد رقشـت كالبحـر
كـطيف الشـــعاع بألوانه ولو انه واحـد في النظـر

وفي هذه القصيدة نجد الشاعر يحث الملك عبد العزيز على السيطرة على هذه الدويلات أو الإمارات وتوحيدها تحت رايته . وقد ساعد كذلك اتصال الشاعر بالملك عبد العزيز على توثيق صلاته بعدد من الشيوخ والأمراء من أمثال الشيخ عبد الله بن سليمان وزير المالية إذْ عرض عليه الإشراف على الإذاعة السعودية وقد قبل ذلك خالد الفرج ونظم عملها وبرامجها ،وبعدها ترك العمل فيها ورجع لإدارة بلدية القطيف مع استمراره في إذاعة وقراءة بعض المحاضرات الثقافية فيها . وبعد ذلك استقال من إدارة بلدية القطيف وذهب إلى منطقة الدمام.

إذْ أسس مطبعة هناك تحت اسم (المطبعة السعودية) ، ولا نعرف سبباً يفسر تركه هذه الوظيفة التي وهبها إياها الملك ، ولكننا نعزو السبب في ذلك لقلقه النفسي المتواصل جعله ينتقل من مكان لآخر مثل الهند والبحرين والكويت والسعودية وسوريا المطاف الأخير في حياته الاجتماعية والأدبية[١٠].

ونجده بعد ذلك وتحديداً في سنة ١٣٧٢هـ -١٩٥٢م يترك الدمام مرتحلاً إلى دمشق في سوريا مقيماً هناك وبصفة دائمة ، ومنها سافر إلى لبنان وتحديداً في سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م نراه قد اشتد عليه المرض فمات ودفن فيها. ولا نجد تفسيراً مقنعاً السفر الى سوريا، واغلب الظن أن علاقته مع السعوديين قد ساءت ولم تكن على حالٍ جيدة وبخاصة بعد وفاة الملك عبد العزيز . وفي سوريا قام بطبع جلَّ أشعاره التي نظمها في مدح الملك عبد العزيز وبخاصة ديوانه (أحسن القصص) في سنة ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م. وقد ألحَّ عليه بعض أصدقائه بطبع المتبقي منه الاّ انه لم يلبِّ طلبهم وذلك لعدم إثارة عواطف بعض الناس تجاه عمله هذا[١١].

إلا إننا نجده في قصائد هذا الديوان كان مماشياً للأحداث التي قام بها آل سعود في حروبهم وبخاصة الملك عبد العزيز، ومن المهم بمكان ان الشاعر قد ارتحل إلى دمشق في السنة التي رحل فيها الملك عبد العزيز، وبذلك إن الحياة في السعودية لم تطب لهُ فتركها إلى سوريا، وحتى القصيدة التي نظمها في رثاء الملك عبد العزيز لم تكن على الوجه المطلوب من شعره وقوته ولا تصور آمال الشاعر في ممدوحه من توحيد الجزيرة العربية تحت رايته ،فهذا الضعف في نظمه راجع لوضعه النفسي . أو التزامه مع الملك في هذا الحال من حياته وهو شيء لابد منه[١٢]. إذ يقول واصفاً هذا الحال[١٣] :-

أمم البسيطة نكست أعـلامها مثل القلـوب إذا شكت آلامها
حزنا وإكباراً لذكـــرى راحل ملأ البـلاد جنوبها وشمالها
وتساءلت شمس الشروق وقد رأت سحب الأسى: ماذا أثار قتامها
قالوا قضى عبد العزيز ويـــاله هول يهد من الأمور جسامها
رجلٌ قضى فبكى الوجود لفـقده نكلت بـه دنيا الكرام أنامها
وتساوت الأديان في تأبـــينه حيث النصارى شاركت إسلامها
قصص البطولة قـد حوتها سيرة عبد العزيز بســاعديه أقامها
لا ألف ليلة حـام حول عجيبها حيث الوقـائع حققت أحلامها
شقت سـواعده الطريق إلى العلا حتى تبـوأ في العلاء مقامها

ويسترسل الشاعر في رثاء ممدوحه الملك عبد العزيز مبيناً مناقبه وآثاره في توحيد الجزيرة العربية وعلو شانه بين ملوك الدنيا مسبغاً عليه كل أنواع البطولة والشجاعة كمحارب قويٌ لهُ صولات وجولات في سوح الوغى، ويصفه بأنه الموحد لهذه الأمة وزعيمها الأوحد ومخلصها من كلّ الشوائب التي علقت بها من دويلات صغيرة منقسمة ، وبعدها يتحول الى مدح وريثه وحاشيته من الأسرة الحاكمة ، الذي يجد فيه خير خلف لأحسن سلف ، لكنه لم يكن مع الملك الجديد على ما كان عليه مع أبيه، على الرغم من هذه القصيدة التي قالها فيه حينما هنأه بالمُلك والتي ألقاها في سنة ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م التي يقول فيها[١٤]:-

عرش بإخلاص القلوب وطيد والشعب بالملك الجليل سعيد
سد الفراغ كأننا لم نفتقده عبد العزيز وقد تلاه سعود
التاج تاج العدل فوق جبينه متلألئ ولواؤه التوحيد
ملك مآثره سعود كأسمه العدل ملء أهابه والجود
ساس الممالك بالكياسة والنهى رأيٌ لهُ في المغلقات سديد
وإذا ادلهم الخطب فهو منارة تنجابُ منه النائبات السود
قد شاد بالإصلاح آثارا لها صوت بإعمال المليك يشيد

وحينما قرأنا ديوانه لم نجد قصيدة أخرى في مدح الملك سعود غير هذه القصيدة ، مما يدل على أن الصلة بين الشاعر والملك سعود كانت غير وثيقة . وان الحالة النفسية للشاعر غير مستقرة فانه متنقل بين بلد إلى أخرى وحتى الكويت لم يرجع لها ولم يتحدث عنها في شعره إلا قليلاً . وبخاصة في موضعين الموضع الأول عن أهل الكويت وحاجتهم لمياه الشرب العذبة ، والموضع الثاني رده على الشاعر الكويتي عبد اللطيف النصف عندما كان يشكو أوضاع الكويت المتدهورة إذْ خاطبه في هذه الأبيات قائلاً[١٥]:-

عادت إلى الأمل الضئيل حياته وتسارعت في قلبه دقاته
أمل سرت روح الحياة بجسمه واستبدلت بمبشرين نعاته
أهوى الحقيقة والحقيقة مرة كالشهد تؤلم مجتنيه حُماته

لكنـــها لي مبدأ لا أنثني ولـــو غضبت على عداته

وطني ســويداء القلوب محله عندي ،وإنســان العيون(صفاته)

وقد اختلفت آراء النقاد والكتّاب الذين أرخوا لحياته الاجتماعية والأدبية في كونه شاعراً من شعراء نجد والحجاز أو من شعراء البحرين ، أو انه من شعراء الكويت ، إلاَّ إننا عندما نتفحص شعره نجده لم ينسب نفسه لبلدٍ معين وإنما عدَّ شعره ووجهّه إلى أبناء الشعب العربي أو الأمة العربية فيقول واصفاً ذلك الحال[١٦]:-

هل في الجزيرة غير شعب واحد قد مزقت بيد العدى وحداته

من لي (ببسمرك) يضم صفوفه وعليه تجمع نفسها أشتاته

فيعيد من هذي الممالك وحدة والعلم تخفق فوق راياته

شعب بنو قحطان ركن أساسه وبنو نزار في العلى شرفاته

بـــدر له هالاته : احقافه وخليـــجه وفراته وسراته

فهو هنا يدعو للوحدة العربية من الخليج إلى الفرات إلى شمال البحر المتوسط تحت راية واحدة وهي راية الملك عبد العزيز لتصبح الأمة كتلة واحدة في وجه الاستعمار والتفرقة .

العنوان الثاني : الموضوعات الشعرية في شعره

بعد أن تناولنا حياته وثقافته واتصالاته مع أمراء وشيوخ بعض الدول التي زارها واتخذ منها مقراً دائماً لهُ ، لابد لنا من دراسة موضوعات شعره التي خص بها العالم العربي ومحنته مع الفقر والتخلف والضياع . وكذلك وصف أساليب الاستعمار والمستعمرين الغرب وما آل اليه حال الأمة العربية من جراء ذلك. ومطالبته بالدعوة إلى الوحدة والقوة بين أقطار هذه الأمة وأبنائها والدفاع عن عروبتها وتاريخها، لذا أننا من خلال قراءتنا شعر خالد الفرج نلحظ ان اغلب موضوعاته سياسية سواء ما كان يرثي بها هؤلاء الأمراء والشيوخ وأصدقاءهُ ، وكذلك ما كان ينظمه في المناسبات الاجتماعية والدينية . ولكنه على الرغم من التعدد هذا فانه يقع تحت طائلة الشعر السياسي[١٧].

إن هذه الموضوعية تجعلنا نقوم بدراسة شعر خالد الفرج تحت كتلة واحدة وهي الموضوع السياسي بأجمعه والابتعاد عن تقسيم شعره إلى موضوعات عدة نحن في غنىً عنها ، ومنهُ نستطيع أن نقول ان شعره هذا يجمعه الإطار القومي فهو ملتزم بقضية واحدة وهي قضية الاستعمار الغربي للشرق العربي وسلب خيراته والدعوة إلى التخلص منه ومقاومته بشتى السبل المتاحة . ومن هنا نقول أن شعره يغلب عليه الطابع السياسي مع سمو القيمة الفنية فيها مما جعل خالد الفرج ذا مكانة طيبة بين أقرانه من الشعراء والأدباء وتميز بهذا الغرض عن غيره من الشعراء.ومن هنا نستطيع أن نقسم موضوعات شعره على ثلاثة أقسام هي:-

١- الشعر الذي قاله في وصف الأمة العربية:-

لقد حددَّ خالد الفرج في اغلب قصائده السياسية حال الأمة العربية أو وضعها السياسي وما آلت إليه أمورها من الضعف والتفكك والضياع وسلب خيراتها من قبل المستعمرين وذلك في مناسبات عديدة إذْ ألقى سنة ١٣٤٦هـ -١٩٢٧م وبخاصة في شهر أكتوبر من هذه السنة قصيدة طويلة مجد فيها الدور الكبير لصديقه الشيخ عيسى بن علي آل خليفة عندما اعتقله الانكليز إذْ كان يتخذ منه رمزاً للدفاع عن حقوق الأمة العربية إذ كان من المعارضين للإنكليز ومن الداعين لمقاومتهم اسماها (الشرق والغرب) ، ولهذا العنوان دلالة واضحة وهي معاملة الغرب للشرق وما به من جهل وظلام عندما فقد مكانته بين الأمم ثقافياً واجتماعياً وعلمياً وفكرياً، إذْ أجرى الشاعر مقارنة واسعة في هذه الأمور مجتمعة داعياً شبابها إلى النهوض من سباتهم ومقارعة هذه الهجمة الشرسة، اذ يقول فيها[١٨]:-

الغـرب قد شدد في هجمته والشـرق لاه بعد فـي غفلتـه
وكلـــما جد بإعمـاله يسـتسلم الشرق إلى راحــته
فيجمع الغــربي وحداته والشرق مقسـوم على وحـدته
وذاك يبني العلم في بحـثه وذا يضيع الوقت فـي نظرته
يسـتجمع الغرب قواه لكي يستعبـد العـالم في صـولته

فطوّق الأرض بقضبانه وقــرب النائي بسيارته
طبق سطح البحر أسطوله وامتــلك القعــر بغواصته
وذلل الريــح بطيارته واستنزل الأعصم من قُنَّته
وغاص في العلـم وأسراره فآستخرج المكنون من علته
أين يفر الشرق من بطشه وكيف ينجي النفس من ربقته

فهو هنا يعطينا مقارنة تامة بين فريقين غير متكافئين في كلَّ شيء سواء من العلم والجهل والتفكك وما وصل إليه الغربيون من تطور واضح الأثر بامتلاكهم ناحية العلم على عكس الشرق المتخلف. ومنه ايضاً أن الشاعر يريد أن يرسل أو يصور لنا صورة يصف فيها الغرب المستبد القوي على عكس الشرق الضعيف المغلوب على أمره . وبخاصة في القرن التاسع عشر وما امتلكه من مقومات التطور وظفها في خدمة موضوعاته المتنوعة ، فالشاعر أراد أن يوصل لنا فكرته وبكل إتقان ودون غموض في فكرته. ويسترسل الشاعر في مقطوعة أخرى من قصيدته إذْ يرسم لنا صورة متكاملة عن فشل الشرق في تحقيق أمانيه معتمداً على ماضيه القديم دون تجديد مما جعله يركن لحالة الجهل والفشل الذريعين إذ يقول واصفاً ذلك بقوله[١٩]:-

والشرق ويح الشرق من جهله وهي به الإحساس من علته
يعــلل النفــس بأجــداده وباليـات المجد من دولتـه
ويقرع المـدفــع أســماعه فيطَّـبيه العــود في نغمته
وان دهــاه الـغرب في بأسه فللقضـا التفريج من أزمته
يكلــف الأقــــدار إسعاده يحــلم بالآمـال من رقدته
كــاكل الأفيون يسري به الـ ســم ويسترسل في لذتـه
أرهــقه الغــرب بويـلاته واستنزف القيراط من ثروته

فهو في مقطوعته هذه يكثر من سخريته تجاه الشرق وما به من أمراض وجهل وظلام داعياً أبناءَه إلى النهوض بواقع هذه الأمة واستغلال ثرواتها لصالحهم حتى يستطيعوا بناء قدراتهم العلمية والثقافية.

ولهُ مقطوعة أخرى من القصيدة نفسها يدعو فيها العالم بأسره وليس الشرق العربي وحده للدفاع عن حقوقهم في العيش والحياة الكريمة واستغلال ثرواته للنهوض بواقعه العلمي والثقافي، إذ يقول واصفاً ذلك بقوله[٢٠]:-

وكـل شـرقي على وجهـها يحـــس بالآلام في بقـعته
فالهـند قد ضجت ملايينها من امتصاص الغرب مع قسوته
والصين مع تخدير أعصابها ألمها المتصل في عضـته
ومســتقل الشـرق في عزه كمســتذل الشــرق في ذلته
لا فــرق فيه غير عنوانـه كـلاهــما يشــقى بوضـعيته
منقســم حتى على نفسـه مشــتت الأوصال في أسرته
يجني به البعض على بعضه جهلاً ويخشى الأخ من إخوته

ويقول مستغرباً في مقطوعة من القصيدة نفسها وبسخرية شديدة من الشرق العربي وقد قطعت أوصاله إلى دويلات كلاً يشكو أمراضا مختلفة سياسية واجتماعية ونفسية مردها إلى سيطرة الاستعمار عليه مما لا يستطيع التخلص من هذا الواقع المرير، فيقول واصفاً ذلك بقوله[٢١]:-

هذي بلاد العرب في ضعفها لا يعطف الجـار على جيرته
فــي كلَّ شبرً دولة تاجهـا كصاحب التمثيل في جوقته
يلعــب في تيجانـها خدها كلاعب الشـطرنج في رقعتـه
وهـذه الــدولات مجموعها أحقــر أن يعتد في كـثرته
لكنــها لو جمـعت لقمة قد تتعب الماضغ في مضغته
يا قوم : إن الـداء متأصـل فينا سيفنى الجسم من وطأته
فنحن كالمجـذوم أعضــاؤه تفصــلها الأدواء من جثتـه
فقد قضى الله على مسـقط واســقط السيد من ذروتـه
وهــذه البحـرين مغلولـة يقــودها الغرب إلى حفرتـه

فهو هنا يصف هذه الحالة المتأصلة في الوطن العربي ودويلاته وصفاً دقيقاً معتمداً بذلك على ما يجده من واقع مرير وتفكك جسيم في هيكل هذه الأمة التي ابتليت بالاستعمار وسطوته فهو يصورها بأنها مريضة مجذومة تعاني من الهلاك والموت .

ولكننا نجده في أبيات أخرى من هذه القصيدة يصيح مستنجداً وبكل قواه طالباً من شباب هذه الأمة الوعي إلى هذا الخطر الجليل محذراً من امتداد هذه السطوة على أجزاء أخرى من العالم العربي والإسلامي برمته فهو يستنهض أبناء هذه الأمة وبكل إصرار وتحدٍ على القيام بالثورة وبكل سرعة قائلاً[٢٢]:-

يخنقـها الغـربي في كفهـا وباسـمها يستر من سـؤاته
مسيـطر في كـل أعمالهـا ينـدمج الكل بخصـيته
يظلـم بأسم العـدل سكانهـا يسـومها الخـسف بوحشيته
قد ابعد الأحـرار عن دارهم وقـرب الأنـذال من حفرته
ورأس العـاطـل من قومه في وافر العيش وفي بسطته

فهو هنا أيضاً يستنهض الشباب العربي وكذلك قادة الجزيرة العربية من أمثال الملك عبد العزيز بن سعود في توحيد الجزيرة العربية والعالم العربي برمته، هؤلاء الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياني زعيم البحرين وكذلك السائح العراقي كما يسميه خالد الفرج وهو الشاعر والأديب العراقي يونس بحري ، وأبي حسن النداوي وغيرهم من الوطنيين في المشرق العربي ممن كانوا يناهضون الاستعمار والمستعمرين الأجانب .

وقد بقيت صور الشرق الضعيف واضحة في شعر خالد الفرج ، إذْ عبّر عن ذلك في قصيدة ألقاها في النادي الأدبي في البحرين سنة ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م في احتفالية لتكريم الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وفيها ذكر جهود الثعالبي في الدفاع عن حرية شعبه وتحريرها من الاستعمار الفرنسي ، ذاكراً فيها مجموعة من الأبيات عن حال الشرق ومحنة الاستعمار والأسى والحزن الذي ينتابه من جراء ذلك إذ يقول[٢٣]:-

يا أيها الأسـتاذ جئت منقباً عما لعـــرب طلول مناقـب
لترى بقـايا الفاتحين ونسلهم وهل اســتطاعوا رد مجد ذاهب

جُبتُ الجزيرة ، غربها وجنوبها فـــرأيتها بتقاطع وتناصب
في كـــلِّ مرحلة مليك قائم شـــغلت دقائقه بآخر طالب
لعـــدده في ذلة ، عن قومه في شاغل ، من جهله في قالب
وبكـــل شبر في الجزيرة امة ترنـــو إلى جيرانها كأجانب
إن قـــام فيها مصلح ليلمها قاموا لـــهُ من عاتب أو غائب

هنا الشاعر يعقد مقارنة بين حال الجزيرة إبان عهد الإسلام والفتوحات التي من خلالها نشر الإسلام حتى وصل لحدود أوربا والصين ، وبين حالها اليوم من التفرقة والدويلات المتناثرة هنا وهناك. وهي هنا ميزة لشعر خالد الفرج إذْ تضفي عليه جانب الطرافة وحمل نفس المتلقي على الاستمتاع بهذا الأسلوب وقدرته على الإقناع في قضيته التي يوظفها في قصيدته . لما آلت إليه أوضاع الجزيرة العربية والوطن العربي برمته من تفكك وانحلال دائمين . وهو يعزو ذلك الأمر إلى بعض الخلافات الدينية بين العرب أنفسهم وسطوة عنصر المذهب في بعض الأحيان أوقعهم في هذه التفرقة مما سهل للمستعمر أن يدب التفرقة بينهم ويسيطر عليهم في المجالات كلها الاجتماعية والثقافية والدينية . لذا نجد أن خالد الفرج قد صور هذه الخلافات الدينية في مجموعة من قصائده اذ يقول واصفاً ذلك بقوله[٢٤]:-

شغلوا عن الدين الذي هو خصهم بطـــوائف من بينهم ومذاهب
جعلـوا الخلاف على الفروع فوارقا ليســود فيـــهم حدَّ سيف الغالب
والأجنبـــي لهُ السيادة كلها قد وطـــدت بمكائد وتلاعب
يغري الشقيق على أخيه وينتحي بمصـــالح من حربهم ومكاسب
والجـــهل ثالثة الاثافي واقف دون الرقي، لهم وقوف الحاجب
أني أؤمـــل إذ رأيتك باسماً إن تنجلي عنـــا غيوم غياهب
فاليأس أوغل في القلوب فلا ترى منا ســـوى هم و وجه قاطب
وأراك تبسم حين تيـــأس أملاً بـــزوال كارثة ونيل مآرب

ونجده قد سار في اغلب قصائده على هذا المنوال في رسم صورة الجزيرة العربية والعالم العربي في تفككه وانحلاله وضياع هيبة العربي وكرامته بين الشعوب الأخرى .

وللشاعر خالد الفرج قصائد في مدح الأديب العراقي يونس بحري المعروف (بالسائح العراقي) لكثرة أسفاره، ولما لها من البناء الفني وكذلك التصوير الفني في وصف العالم العربي بل الشرق بأجمعه، إذْ يقابل الموقف بالموقف والصورة بالصورة موظفاً حب يونس بحري للسفر والتنقل بين أصقاع العالم وما رآه من تقدم للغرب علمياً وحضارياً مقارنة بالشرق المتخلف الذي يعيش السبات المتواصل عائشاً على ارث الأجداد والمرض والتخلف ، إذ يقول فيها[٢٥]:-

وها أمـــم الدنيا تجل رجالها ... ويرقى إلى أوج المعالي جديرها
لهــذا حرمنا من رجال تسوسنا ... وهل يحرم الخيرات إلاّ كفورها؟
لنبك على الماضي ونندب حظوظنا ... لتبردَ نفس هاج فيها سعيرها
مضى نحو (أوربا) فجاب بلادها ... فآلمه استعمارها وغرورها
ولذات عيش ينعمون بطيبها ... يعود لأهل الشرق حقاً ضميرها
قصور، بساتين الورود سياجها ... كجنات عدن والكواعب حورها
ودور بها الآلات وهي قيودها ... تساورها والعلم فيها يديرها

ومن خلال هذه التقابلات التي أجراها الشاعر بين الشرق والغرب والفكرة التي طرحها وهي فكرة سفر يونس بحري وما شاهده من تقدم ورقي للغرب وتطور مُلفت للنظر أراد الشاعر أن يوصل لنا فكرة تدور في خلده وهي فكرة التوحد ونبذ الخلافات بين أمم الشرق لتصبح في مستوى يوازي الغرب وتطوره، إذ وضح لنا في مقطوعة أخرى من قصيدته بعض حركات التحرر التي قامت في الهند وإيران والصين ، إذْ نالت هذه البلدان استقلالها من الاستعمار ، قائلاً [٢٦]:-

وجاب بلاد الشرق فأنجالَ يأسه ... رجاء فهذي الروح تنمو بذورها
حياة سرت حاشا بلادي فإنها ... من الجهل سكرى والخمول خمورها
رأى في إيران الليث يحمل سيفه ... وما هاب أسد الغرب يدوي زئيرها

على ظهـــره لاحت ذكاء منيرة بأضوائها والأبلج الحــق نورها
خنــوع بني قاجار قلص ظلـها فمد علاها (البهــلوي) جسورهـا
ومنها على الافعـات حيث نسورها وعقبانها شم الجبـال وكــورها
حمـاها (أمان الله) بالـدم طاهراً وبالدم من رجس الخنـوع طهورها
وجاء إلى الهنــد الفتيـة تلتوي بأغــلال ذل لا يفــك أسـيرها
وجاب من الصين الفسيحة أرضها وما صده أن يدخل الصين ، سورها

وبعد ذلك يرجع الشاعر فيرسم لنا صورة عن المشرق العربي داعياً أبنائها للنهوض والوقوف في وجه المستعمرين حتى يتحقق الحلم العربي المشهود في التخلص من الاستعمار وبث روح الوحدة بين الشعوب العربية عن طريق توحيد صفوف أبنائها على غرار حركات التحرر في إيران والهند والصين قائلاً[٢٧]:-

وأرض سقاها الرافـدان فأخصبت يناغي أغـاريد الطيور ضريرها
مــواردها عنـد الأجانب خيرها وابن البــلاد المستكين أجيرها
مصــفده بالاتفـاقات ، رجلـها سلاســلها وا ذلتاه سطورها
إذا أصـدرت تلك القمـامة أمرها فأن الذي يمضي عليه وزيرها
ألا أيــها المقدام أهلاً ومرحباً تحــية أقوام عظيم سرورهـا
تفاخر فيك الغرب والغرب شامخ وهذا الذي أتلـو لديك شعورها
فعرج على ارض الجــزيرة برهة هي الأم والابن الكريم يزورها

فهو هنا يبين حال العراق وسكانه وأرضه ومائه الوفير وكثرة الخير، لكنه بلد في الأخر مقيد لا يستطيع النهوض بواقعه ، معرجاً على الجزيرة العربية وما بها من تشتت وإنها عبارة عن دويلات هنا وهنا طالباً من الملك عبد العزيز توحيدها في دولة واحدة لتصبح نواة للتحرر من قيود الاستعمار والنهوض بواقعها .

٢- شعره الذي قاله في فضح أساليب الاستعمار الغربي:

تجدر الإشارة إلى أن الشاعر خالد الفرج قد وضع لنفسه مساراً خاصاً به في معالجة قضايا الأمة العربية من خلال فضح أساليب الاستعمار الغربي وبيان مدى خسته في تحقيق مآربه وكشف نواياه تجاه الشعوب العربية وشعوب الشرق كما يسميه الشاعر، الا انه قد اتخذ لنفسه طريقتين في معالجة هذه القضية ، الأولى اعتماده على السخرية من تلك الأمور التي كانت يروج لها الغرب من بينها إقامة مؤسسات ذات طابع سياسي مثل هيأة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن الدولي وهذه نتجت بعد قيام الحربين العالميتين الأولى والثانية كرد فعل على مجريات الأمور في هذا العالم . وأما الطريقة الأخرى وهي تعد من المفارقات الحادة في تطبيق المبادئ التي ينادي بها الغرب وتطبيقها على الشعوب المستعمرة وفضح الأهداف الخافية وراء ذلك . ومن هنا نجد أن الشاعر خالد الفرج قد ضاق ذرعاً بهذه الأمور مجتمعة ، فهو يجسد ذلك في مقطوعة من قصيدة اسماها (الأعاجيب) ، إذ يقول فيها[٢٨]:-

ترى الصورة في المرآ ة ولكن هي معكوسة
وفي الدنيا أعاجيب عن الأبصار مطموسة
ومنها مثل عليا كثار غير ملموسة
وفيها عالم حر به الأحرار محبوسة
عرفنا من نواميس وأخرى محسوسة
سوى أحياء أمريكا لأسرائيلها السوسة
وسيل من ملايين على الآفاق محبوسة
وكم من لاجئ قد ما ت والأوضاع مدروسة
نعجب من مسيحي غدا الحاخام قسيسه
وهذي امة العرب أر تدت أثواب قديسه

فهو هنا في شك مريب من الغرب ونواياه تجاه الشعوب المضطهدة من قبله ، ولكنه بطريقته هذه استطاع أن يوصل رسالة مفادها أن الغرب مخادع في كل تصرفاته

ومواثيقه تجاه هذه الشعوب وحضارتها ،أما في قصيدته (ميثاق السلام) فقد صور خداع الغرب لشعوب الشرق ، في سخرية استمدها الشاعر من واقعه المزري في أسىً وتهكم واضح ، وكما حصل في اجتماع باريس سنة ١٩٢٨م ، والذي صدر عنه بما يعرف (بميثاق السلام) الذي يكفل الحرية والمساواة للشعوب في العالم بأسره وإعطاء الحرية لها . لكننا نجد الشاعر في قصيدته ينتابه الشك والريبة من موقف هذه الدول، إذ يقول فيها[٢٩]:-

يا سلم: هل لك في الوجود حقـيقة حتى يسـطر باسمك الميثـاق
بالله قل لي: أين كنت مذ اعتـدى قابيل حـين جرى الـدم المراق
كـم ألف علم أنت فيها مخـتفٍ والقـتل جار والدماء تـراق
أتـراك كنت نفيسـة مخبـوءة حينت كما قـد حينت الأعلاق
أم كنت في الفردوس تصحب (أدماً) فبقـيت حيـن هوى وكان فراق
بقيت لك الذكرى لـدى أبنـائه عما رواه أبـوهم المشـتاق
مهما تكـن فلتـحى انـك أية ملئت بنـور جمـالها الآفاق

ويكرر الشاعر سخريته من هذا الميثاق ، وما حصل للناس من كوارث أخذت منهم الكثير نتيجة الحروب التي خاضتها الأمم فيما بينها والدماء التي سالت ، فهو يسخر من هذا الميثاق والسلام الشكلي الذي تتحدث عنه دول الاستعمار. فهو يشك في دول الغرب ونواياها تجاه وطنه وما يمارس من قيود جديدة نتيجة هذا الميثاق ، إذ يقول ساخراً [٣٠]:-

لله مهـــزلة ولعـبة لاعـب جلى بها الزعماء والحذاق
أتـراهم حلموا بحـرب فارتأوا تفسيره بالعكس حين أفاقوا
ولو إنهم كبحوا جماح نفوسهم لخبت بهم فتن وزال شقـاق
لكنهم جعلوا الخـداع ستارهم فالجسم قاس والثياب رقاق
مهلاً جهابذة السياسة قد مضى زمن به لكم العقول تساق
أن النفوس يـزيدها اسـتعماركم غلاّ ، فلا يغـرركم الإطراق

فالسلم، إن لم تعـدلوا عن غيكم عــدد أصـم ماله إنطـاق
والحــق حـق واضحـات سبلهُ كالشمس عم بنورها الإشراق
أو ما كفتكم في(جينيف عصابة) تسعي لها ونصيبها الإحقاق

وإذا تتبعنا ديوانه وجدنا فيه قصيدة أخرى بعنوان (حقوق الإنسان) ، إذ وضح فيها الشاعر المفارقة بين وضع المبادئ على الورق وبين تطبيقها تطبيقاً فعلياً على ارض الواقع، وهو يعرض نظرته المتشككة في مصداقية هؤلاء والواقع الذي تعيشه أمته العربية ، فهو يكشف زيف هؤلاء في تحقيق هذه المبادئ أو حقوق الإنسان وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية وما آلت إليه الأمور من تدهور وبخاصة في فلسطين وتحقيق الدولة اليهودية وتأكيد مظلومية الفلسطينين والزنوج في أمريكا وغيرهم من الشعوب الأخرى ، إذ يقول واصفاً ذلك [٣١]:-

من هو الإنســان قل لي ثم ما تلك الحقـوق
ولمــاذا قـــرَّروها وبها منهم خـروق
أمـــم الدنيا توافــت لم تمـيزّها فـروق
ولها صـــرح عظيـم في نيويورك أنيـق
لتـــرومان بها الــربا ن يمضي والطريـق
فهي أحيــاناً حـقوق وهي أحياناَ عقـوق
انظروا الشــرق جريحاً كلمــا ذر شــروق
وبأمريكـــا زنــوج عتقــاء أو رقيـق
وفلســـطين تعــاني منهـم ما لا تطيـق

فهو هنا في هذه المقطوعة يصور ضيقة وذرعه بضياع حقوق الإنسان في هذا العالم الواسع المترامي الأطراف، ومدى الذل والهوان الذي تعيشه الشعوب الضعيفة ، ومدى تسلط القوي على الضعيف،اذ يقول[٣٢]:-

قال :ما الإنسان إلا من على الغير يفـوق
يخضع العالم بالعلم وللنـــاس يسـوق
وحقـوق المرء لا تُعـ طى لمن ليـس يطيق

هنا الشاعر يلح ويصر على تحقيق هذه المبادئ أو ما يسمى بحقوق الإنسان وبكل قواه، وخصوصاً التي وضعتها اكبر الدول وأعتاها قوة تقوم بضرب الدول الأخرى بأخطر القنابل الذرية وتسحق مدناً بأكملها دون رادع في زمن قليل ولا تذر عليها فرداً واحداً . ويؤكد ذلك ما حصل في اليابان وخصوصاً في مدينة هيروشيما ونكزاكي إذْ دمرتا على الآخر،وبذلك بين الشاعر ذلك التناقض الحاد في الأسلوب والتطبيق لهذه المبادئ ، إذ بين ذلك في مقطوعة من قصيدة (حقوق الإنسان) إذْ يقول[٣٣] :-

وغمامة ذريـة قلبـت مـن الأرض الأديـمـا
تركت مـدائن عـامرا ت في أهاليـها هشـيما
لم تـبق لا طـفلاً ولا أمـاً ولا شـيخاً عموما
ويل الوحـوش القاذفيـ ن بهـا الصبايا والحريما
لم حرموا المكروب والـ ـغـازات اجمع والسموما
ورمـوا أناسـاً امنيـ ن قنـابل انقضت جحيما
أهـوى بـها الفرار لـ سـما صار شيطاناً رجيما
قد خر يوم الحرب إذ مسك الخصيم بها خصيما

فهو هنا يكرر الدعوة لتحقيق هذه المبادئ إذا صدقت النوايا في جعلها على ارض الواقع ولكن بالصورة التي تخدم البشر في هذا العالم الكبير.

٣- شعره الذي قاله في التنوير والنهضة العربية :

نجد ان شاعرنا خالد الفرج بعد ان اختط لهُ مساراً خاصاً في شعره ووظفه توظيفاً لخدمة قضايا الأمة العربية وما أصابها من تخلف وجهل وتفكك وانحدار في الجوانب العلمية والإنسانية ، وكذلك فضح أساليب الاستعمار الغربي وكشف محاولاته لإحكام الخناق على دول الشرق حتى لا تفلت من آساره أو تثور عليه متخذاً من السخرية تارة والإلحاح في عمل المفارقة الحادة بين المبادئ التي يطرحها ومدى تحقيقها على ارض الواقع ، ومن هنا سعى إلى مبادئ الدعوة إلى الوحدة والقوة بين الشعوب حتى تنال

استقلالها وحريتها إذْ عمد في معظم قصائده إلى نشر التعليم بين شعوبها حتى تبنى قواعد قوية تستطيع من خلالها النهوض بواقعها ونبذ التخلف ، والوحدة فيما بينها من اجل مواجهة المستعمرين بالسلاح نفسه الذي يتبعونه في بث سياستهم والتفرقة بين الشعوب نفسها[٣٤].

ومن هذه المبادئ التي اختطها في معظم قصائده اخذ ينادي بالتعليم والوحدة الوطنية باعتبارها الطريق الصحيح إلى نهضة الأمة وبعث حضارتها من جديد واستعادة أمجاد الماضي الزاهر . فاخذ يردد هذا الطابع في معظم قصائده الوطنية وفي مناسبات عدة. وكذلك التحذير من سياسة الغرب تجاه الامة العربية والشعوب المستعمرة الاخرى ، املاً في تغيير واقع الامة الى الأفضل وبخاصة في قصيدته (الشرق والغرب) التي ذهب فيها للسخرية بمرارة بين علم الغرب وجهل الشرق وما تعيشه الأمة من ذلٍّ واستعباد وتخلف، فهو قد كتب قصيدة طويلة راداً بها على عبد اللطيف النصف في قصيدته (جلَّ الأسى) ذهب فيها إلى بث أحزانه وآلامه وبيان واقع أمته المزري يأساً منه إذ يقول[٣٥]:-

عبد اللطيف بك القمار لموطن أحفت بمثلك ضعفه قواته
لا تشتكي بؤس الكويت لبائسٍ لولاك لم تبرح به لوعاته
كاد القنوط يقضي عليه مذ رأى وطناً تهدم ساحتيه بناته
قد كان محتضراً من الجهل الذي قد أطبقت في جوه ظلماته
والجهل آفة كل شعب في الورى كالقز تهلك نفسه حشراته
قد خدر الأعصاب فعل سمومه وعلى جفون القوم ران سباته
لا مجد إلا بالعلوم ونشرها في الشعب حتى ترتقي طبقاته
فإنهض لبث العلم فهو رواؤه وبمثل شعرك فلتكن دعواته

الشاعر هنا يُصرُّ على العلم والتعلم في الكويت إذْ اتخذ منها رمزاً للأمة العربية جمعاء، إذْ ذهب في قصائد أخرى يتحدث عن حاجة الأمة العربية إلى التعلم والتعليم ، إذ يصف ذلك بقصيدة لهُ أطلق عليها اسم (الحق للقوة) إذ يقول[٣٦]:-

آلامـــنا آمـالنا ، وشـفاؤها لو حقـقت بتكاتف وتحابب
ومدارس تنـمي الفضـيلة بيننا لتردنا نحـو الطريق اللاحب
فالعلم للشـعب الضعيف معـزز ومحرر من غاصـب أو ناهب
أو ما ترى الطفل الصغير بعلمـه قاد البعير على علو الغارب
أما الحقوق : فـلا تنال بحـجة ألاّ بحـجة مدمع وقواضـب

ولهُ قصيدة أخرى في وصف حال العالم العربي وما آلت إليه وحدة العرب من التفكك والانحلال واستمرار الغرب في غطرسته، وقد تمثل ذلك لديه في كارثة فلسطين وضعف العرب في استرداد حقوقهم السليبة وعدم قيامهم بالدفاع عنها إلا بالصياح والاحتجاج والإضراب ، فهو يستنهض هؤلاء ويدعوهم للوقوف بوجه اليهود ، ولكنه بصيحة يائس غاضب محاولاً تبصيرهم بتلك الكارثة والمخاطر وان الحقوق لابد من استرجاعها بالقوة ، إذ يصف ذلك قائلاً[٣٧]:-

يا قـوم من لم يدافع عن مواطنه فأنـه مثـل مـا فيهـا من النعم
ما في الصياح ولا الإضراب منفعة وليـس بنفـع الأبطـــش منتقم
فالعدل والحق والإنصاف يوجدها من يحسن الفصل بين السيف والعلم
ومن يرجى لـدى الأعداء مرحمة يجـــد لديهم حنان الذئب للبهم
لا يرحمون دمــوع الحق هامية إلا إذا استـبدلت قطـراتها بـدم
إن اليهود ملاييـــن تضيق بهم ربى فلسطين من سهل ومن أكـم
العلم يعضدهم والمـال يخدمهم فربما اقتســموها شــر مقتــسم

ويصر الشاعر على مبدأ العلم والتعلم في العالم العربي وبكل الطرق المتاحة لديه لطرد هذا التخلف الذي يضلل على هذا العالم ومدى ما وصل إليه من تراجع ملموس ، فهو في قصيدته (أم القرى) يستعين بالرسالة التي كتبها المصلح والمفكر الاجتماعي (عبد الرحمن الكواكبي) إذْ لخص ما فيها من أفكار في تشخيص أمراض الأمة العربية والعلاج الناجح لها ونمو واقعها الاجتماعي والعلمي ،إذ يقول في مقطوعة منها واصفاً هذا الحال[٣٨]:-

مضى نصف قــرن دارها الدهـر فعــاد كما يبـدو شروق الغـارب
رأى كل شـيء باقياً في مكـانه وان بدلت أسـمـاء بعض الجوانب
وكانت لدى الإسـلام اكبـر دولة غدت قِـدداً تـذرى بكف التلاعب
وقد كان للإيمـــان ركن موحـد بصادم عنــها داهيات النـوائب
فضاقت عقــول النـاس إلا اقلهـم فلم تر ما خلف الستور الحواجـب
لئــن ظهرت للشرق فينا مـمالـك فمن حوله دارت عظام المصـاعب
فكيف اسـتقرت في الصميم عصابة يهوديـة بالرغــم من كلَّ غاصب
كانا ، وأســباب التراخي تقودنـا نسـابق طيـارته بالركائـــب

يظهر لنا الشاعر هنا تخلف الشرق وأسباب عيشه المتخلفة من الركائب كالخيل والحمير والجمال وما وصل إليه الغرب من وسائل نقل متطورة من طيارات وسيارات وقطارات في حين عجز العرب عن امتطاء هذه المركبات بسبب تخلفهم وجهلهم الذي وصلوا إليه من جراء الانقسام والتفكك وكما بين الشاعر في قصيدته . على الرغم من ذلك يدعو إلى التعلم والعلم معاً من إللحاق بركب الغرب وتحقيق هذه الوحدة بين أبناء الأمة وأقطارها. وهي الأساس لحل مشاكل هذه الأمة السياسية والاقتصادية. وبناء امة قوية قادرة على النهوض بواقعها. وعلى الرغم من ذلك يبقى شاعرنا ساخراً من هذا الواقع وبخاصة تضليل الغرب للشعوب العربية والشعوب الأخرى بوسائل متعددة، فقد عرض لذلك شاعرنا قصيدة بعنوان (وعد بلفور) ساخراً فيها من عصبة الأمم المتحدة ومن العرب اجمعهم في وضع الآمال عليها ،إذ يقول(٣٩) .

نمتم ومـا اســتيقظتـم إلا بفرقعـــة القيـود
عُــزلاً ولكن الصـــيا ح غدا سلاحكم الوحيـد
يا قـوم إن الاحــتجاج أو التــظاهر لا يفيـد
أصواتكم وســط الفضا وإذا تـلاشــت لا تعود
إن التــهـدج بالبـكا مثل التــهزج بالنشــيد
والسر في خطف البرو ق وليس قصـف الرعود

والظبي يقنـص بالكـنا س ويتقي غاب الأسـود
يا عصبة الأمم اكشـفي عنا قناعـك والوحيـد

ونلحظ كذلك أن الشاعر خالد الفرج على الرغم من دعوته الى القوة والعلم انه كذلك دعا إلى تحقيق الوحدة العربية التي هي أساس بناء المجتمع العربي بكل أطيافه ، ومن هنا فأننا نجد أن لخالد الفرج قصائد عدة في هذا المجال من الواقع العربي التي يدعو فيها لرص الصفوف والتوحد في المجالات كافة كالاجتماعية والسياسية والثقافية لتكون هذه الأمور أساس التوحد . وقد اختار لذلك الملك عبد العزيز ودعاه في اغلب قصائده المدحية بتوحيد دويلات الجزيرة العربية تحت رايته كما فعل (بسمارك) في امة ألمانيا القديمة ، ووصفه بأنه بسمارك العرب آنذاك فيقول في قصيدة لهُ اسماها (الوحدة) قالها في مدح الملك عبد العزيز عندما جاء للإحساء عام ١٩٣٠م قائلاً [٤٠]:

هو الشعب أفـراده والأسـر يعيش ويحيا حيـاة الشـجر
أصـول عليـها تقوم الفروع إلى أن علا دوحـها وانتشـر
قد اتصلت بالأصـول الغصـون فجـاءت بأوراقـها والثـمر
وان فصـل الغصـن من أصله ذوت منـهُ أوراقـه والـزهـر
وما افترقـت امـة فرقتين فبـاء الجمـيع بغير الضـرر
وهذي الجـزيرة إن لم نشـر لأبنائـها في البلاد الأخـر
نـراهـا وأجـدادنا قبلنـا اعز البقـاع وخـير الجزر
تراث القـرون ومجـد الاوا ئل مهما تقادم طول العصـر

ونجده في مقطع أخر من قصيدته (الوحدة) يلح ويصر على الملك عبد العزيز بتوحيد الجزيرة العربية والقضاء على هذه الدويلات المتناثرة هنا وهناك التي تشيع الفرقة بين أبناء الجزيرة العربية، فقد أسبغ عليه صفة دينية فذهب يمدحه ويصفه بالعدل والتقوى وينسب إليه الإمامة حتى لا يكون للناس شك في قدومه لتوحيد الجزيرة العربية وان الطاعة مفترضة لهُ ، إذ يقول [٤١]:-

أيا حامي العــرب في دارهم إلى الله ثــم إليك المفــر
علام الجــزيرة فوق الخريـ ـطة برقاء قد رقشــت كالحبر
كطــيف الشعاع بألـوانه ولو انه واحــد في النظر
هنالك (صنعاء) وذي (حضرمو ت) وتلك (عمان) وهذي(قطر)
وكم من شيوخ وكـم من كبار منين لـدى بـدوها والحضر
قد اتشح الكل ثــوب العـدا ء لإخوانه وأرتــدى بالحذر
وها قد طلعت بالأفـق العــلا ء على العالمين طلـوع الفخر
ورثت الإمامة أرث الجــدود وبالملك توجــتها فاشمخـر
ربطت الحساء بأرض الحـجا زوأقصى عسير بجوف العمر
فوحدت قلب البــلاد العظيم وألفــت ما بين تلك الزمـر

ونلحظ من خلال هذه الأبيات ان الشاعر استطاع ان ينجح في حث الملك السعودي على ضم هذه الدويلات أو الإمارات تحت سلطانه وبالقوة تارة والترهيب تارة أخرى مما أدى وحسب قول الشاعر إلى استتباب الأمن والسلام في هذه المنطقة الموحدة .

وقد كان الشاعر خالد الفرج يتطلع إلى ابعد من ذلك في تحقيق الوحدة خارج نطاق الجزيرة العربية، وقد حصل ذلك عندما عقد اجتماع بين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة مع الملك عبد العزيز في منطقة الظهران سنة ١٩٤٠م فقد نظم الشاعر قصيدة يمجد فيها هذا اللقاء ويعزيه إلى بدء الوحدة العربية بين شعوب الجزيرة العربية إذ يقول[٤٢]:-

آل السعـود بجنب آل خليفة أيدي العلا تصافحت بسرور
أركان مجد العرب منبع عزهم أسـماؤهم تغني عن التفسير
أجزيرة العـرب ابشري وتفاءلي أن الأمــاني علقت بجدير
أطوار مجدك في رباك تكاتفت كل ظــهير ممسك بظهير
والعروة الوثقى اتحاد قلوبهم عقدت على التقديس والتطهير
والوحدة العـربية الكبرى التي يسعى إليـها كل حي ضمير

وقد سعى الشاعر خالد الفرج من خلال الجامعة العربية وحث الملك السعودي على دعمها لتحقيق الوحدة العربية باعتبارها النواة الأولى للوحدة العربية الشاملة قائلاً [٤٣]:-

وأنعــم بجامعة العروبة عروة وثقــى لحبل بالأخا موصـول
صفت القلوب بها لخمس ممالك جعلـت من الميثاق خير كفيل
لبنان واليـمن الشقيق وسوريا وبــلادنا العليا ووادي النيل
ولسوف تنتــظم العروبة كلها من جامع أو خاضع أو مغلول

يريد الشاعر هنا توحيد بلدان الوطن العربي في بودقة وتختفي كل المسميات تحت اسم واحد وهو الوطن العربي الأكبر وطن العرب جميعاً .

الخاتمــة ونتائــج البــحث:

بعد دراستنا لشعر خالد الفرج وجدناه يدور في اغلبه حول موضوعات وقضايا سياسية ووطنية وهي موضوعات تقليدية تدور في طابعها الموضوعي حول شعر المناسبات العامة التي يشترك فيها الشاعر في أماكن هنا وهناك كالهند والبحرين والكويت والجزيرة العربية كان هدفها الإصلاح والدعوة للوحدة العربية ومهاجمة الاستعمار الغربي وفضح مخططاته المختلفة ومن ذلك توصلنا إلى نتائج عدة منها:-

١- كان الكويتيون يعدون خالد الفرج شاعر الخليج العربي لجودة شعره وفنه في هذا المجال الفكري الذي يخدم المجتمع الكويتي والعربي ومساعدته في نمو الحركة الفكرية لدى سكان هذه المنطقة . ويعد ذلك النموذج المثالي في نمو الحركة الشعرية في منطقة الخليج العربي في تلك المدة باتخاذ نماذج من الشعر القديم وتطويعها في رسم اغلب صوره الحسية عن حياة هذا المجتمع.

٢- إصراره من خلال هذا النظم العناية بشعر من خلال شعر المناسبات التي مرَّ بها الكويت والوطن العربي كأن تكون مناسبات سياسية واجتماعية من خلال تذويب ذاته في قصائده الشعرية وتنوع موضوعاتها وبث العاطفة فيها لتكون أكثر موضوعية إذْ لا نستطيع تمييز عاطفته من حماسته فيها .

٣- أسس لنفسه مطبعة خاصة به أطلق عليها (المطبعة العمومية) جعلها مختصة بطبع الكتب العربية للجالية العربية هناك ليطلعوا على تراثهم العربي الأصيل . وكذلك سعى لتعلم اللغة الانكليزية واللغة الهندية ليتمكن من دراسة الأدب الهندي على مختلف أنواعه وطوائفه.

٤- رجع من الهند إلى البحرين واتصل بأميرها الشيخ عيسى بن علي آل خليفة الذي رحب به وعينه أستاذا في المدرسة التابعة لأمارة البحرين وهي مدرسة (الهداية الخليفية) وكذلك اختير من قبل الشيخ عيسى عضواً في المجلس البلدي لمدينة البحرين مما جعله أكثر استقراراً وأكثر اطمئناناً فيها وقد تغنى في اغلب قصائده بحاكم البحرين وعروبتها في التصدي للاستعمار البريطاني.

٥- رجوعه للكويت قادماً من البحرين بعد معاداة البريطانيين لهُ وموافقة في نبذ الاستعمار البريطاني. وبعدها رحل إلى السعودية واستقر في رحاب ملكها عبد العزيز بن سعود بمساعدة السيد هاشم الرفاعي وهو من أدباء الكويت المعروفين، وقد ولاه الملك عبد العزيز بلدية الإحساء ثم بعد ذلك بلدية القطيف مما جعل الشاعر خير مادحٍ لهُ مما دفع الشاعر لحث الملك على تحقيق الوحدة في الجزيرة العربية . وبعدها استقال من هذه الوظيفة وأسس المطبعة السعودية هناك .

٦- تركه منطقة الدمام متوجهاً إلى سوريا إذْ مكان استقراره الأخير بعد وفاة الملك عبد العزيز وفتور علاقته مع ابنه الملك سعود بن عبد العزيز وبعدها ذهب للبنان وتحديداً في سنة ١٩٥٤م إذْ اشتد به المرض ومات هناك ودفن فيها .

٧- وصفه للملك عبد العزيز في اغلب قصائده بالمحارب القوي لهُ صولات وجولات في سوح الوغى ويصفه بأنه الموحد لهذه الأمة وزعيمها الأوحد ومخلصها من كلِّ الشوائب التي علقت بها من دويلات صغيرة منقسمة على نفسها مما جعل الصلة بينه وبين الملك عبد العزيز تتوطد وتقوى.

٨- اختلاف آراء النقاد والكتاب اللذين أرخوا لحياته الاجتماعية والأدبية في كونه شاعراً من شعراء نجد والحجاز أو من شعراء البحرين ،أو انه من شعراء الكويت ، في حين عندما

نتفحص شعره نجده لم ينسب نفسه لبلدٍ معين وإنما عدَّ شعره واجهة لأبناء الشعب العربي والأمة العربية بأكملها فهو يدعو للوحدة من الخليج العربي للفرات إلى شمال البحر المتوسط تحت راية موحدة .

٩- نجده في اغلب قصائده يرسم لنا صورة للجزيرة العربية والعالم العربي في تفككه وانحلاله وضياع هيبة العربي وكرامته بين الشعوب الأخرى وبين حال الجزيرة العربية أبان عهد الإسلام والفتوحات الإسلامية حتى وصول الإسلام بحدود أوربا والصين وبين حالها اليوم.

١٠- اتخاذه من الأديب يونس بحري رمزا للتطور والثقافة وذلك لكثرة سفرة بين دول العالم العربي وتجربته هذه ما يصفه من تطور الغرب وتخلف المشرق العربي أو الشرق بأكمله، وقد أطلقة عليه خالد الفرج(بالسائح العراقي) لكثرة تنقله بين دول في العالم غرب.

١١- سخريته من ميثاق الأمم المتحدة من خلال قصيدته (ميثاق السلام) فقد صور خداع

الشرق لشعوب الغرب، في سخرية إستمدها من واقعه المزري وتهكم واضحين كما حصل في باريس في توقيع هذا الميثاق ، فهو يسخر منه ومن الدماء التي سالت بسبب هؤلاء المستعمرين وما ابتليت الشعوب به من أذى وخوف وتخلف .

١٢- عنايته بحقوق الإنسان وفضح أساليب الاستعمار الغربي من خلال قصيدته (حقوق الإنسان) إذْ وضح المفارقة بين وضع المبادئ على الورقة وبين تطبيقها على أرض الواقع بما يخدم الشعوب وهو يعرق لنظرته المتشككة في مصداقية هؤلاء في تحقيقه حقوق الإنسان والواقع الذي تعيشه الأمة.

١٣- مناداته في معظم قصائده بالتعليم والوحدة الوطنية باعتبارها الطريق الصحيح الى نهضة الأمة وبعث حضارتها من جديد واستعادة أمجادها في الماضي والمستقبل، ويرد هذا الطابع في معظم قصائده الوطنية وفي مناسبات عده ودعوته للملك عبد العزيز لرعاية الجامعة العربية حتى تكون النواة الأولى للوحدة العربية.

الهوامش

١) ينظر: أدب النثر في شرقي الجزيرة العربية (د.عبد الله المبارك):٥٢.

٢) ينظر: أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد): ٨٧. وينظر:خالد الفرج حياته وآثاره (خالد سعود الزيد):٤٥.

٣) ينظر:أيام الكويت (احمد الشرباصي):١٠٣.

٤) ينظر: أدب النثر في شرقي الجزيرة العربية: ٣٧.

٥) ينظر: الادب الحديث في نجد (محمد بن سعد بن حسين): ١٥٣. ينظر: الشيزوفرينيا الإبداعية (د. مشتاق عباس): ١٠٣..

٦) ديوان الشعر الكويتي (د.محمد حسين) : ١٢٩.

٧) الديوان: ١٣١.

٨) الديوان: ١٤٨.

٩) الديوان: ٨٦.

١٠) ينظر:الادب في الخليج العربي: ١٤٣. وينظر:شعراء نجد المعاصرون (عبدالله أدريس: ١٣٥ .

١١) ينظر: الادب المعاصر في الخليج العربي (د. عبدالله محمد الطائي): ٩٧.

١٢) ينظر: تاريخ الكويت (عبدالعزيز الرشيد): ١٤٢.

١٣) الديوان: ١١٠.

١٤) الديوان: ١٠٤.

١٥) الديوان: ١٠٥.

١٦) الديوان: ١٠٨.

١٧) ينظر: تاريخ الكويت السياسي: ١٩٣.

١٨) الديوان: ١٨٧.

١٩) الديوان: ١٧٢.

٢٠) الديوان: ١٧٤.

[٢١] الديوان: ١٩٢.

[٢٢] الديوان :١١٥.

[٢٣] الديوان ١١٢.

[٢٤] الديوان ١١٦.

[٢٥] الديوان :١٤٠.

[٢٦] الديوان ١٤٨

[٢٧] الديوان :١١٨

[٢٨] الديوان :٢٠٩.

[٢٩] الديوان ١٧٨.

[٣٠] الديوان ١٨٠.

[٣١] الديوان ١٩٤.

[٣٢] الديوان ١٨٥.

[٣٣] الديوان :١٨٦.

[٣٤] ينظر: تاريخ الكويت السياسي (حسين خلف الشيخ خزعل):١٣٣ . وينظر: الشعر الاماراتي الحديث (ذياب شاهين) : ١٢٣.

[٣٥] الديوان: ٢١٤.

[٣٦] الديوان: ١١٦

[٣٧] الديوان: ١١٣

[٣٨] الديوان: ١٤٨.

[٣٩] الديوان: ١٨٢

[٤٠] الديوان ٨٥.

[٤١] الديوان ٨٧.

[٤٢] الديوان .٩٦

[٤٣] الديوان ٩٦.

المصـــــادر والمـــــراجع

١- أدب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية (د.عبد الله مبارك)،ط٢، القاهرة ،١٩٧٠م.

٢- أدباء الكويت في قرنين (خالد سعود الزيد)، الكويت ،ط١، ١٩٦٧م.

٣- خالد الفرج حياته وآثاره (خالد سعود الزيد) ، ط٢ ، ١٩٦٩م.

٤- أيام الكويت (د.احد الشرباصي)،ط١،مصر،١٩٥٣م.

٥- الأدب الحديث في نجد (د.حمد بن سعد بن حسين)،ط١،القاهرة ،١٩٧١م.

٦- الأدب المعاصر في الجزيرة العربية (د.عبد الله مبارك)،ط٢،القاهرة،١٩٧٣م.

٧- الأدب في الخليج العربي(د.عبد الرحمن العبيد)،ط٣،دمشق،١٩٥٧م.

٨- الأدب المعاصر في الخليج العربي (د. عبد الله محمد الطائي)، القاهرة ،ط٢، ١٩٧٤م .

٩- ديوان الشعر الكويتي (د.محمد حسين) ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٩م.

١٠- تاريخ الكويت (عبد العزيز الرشيد)،ط٢، بيروت،١٩٧٢م.

١١- تاريخ الكويت (د.احمد مصطفى ابو حاكمة) ،ط١،الكويت ،١٩٧٣.

١٢- تاريخ الكويت السياسي(حسين خلف الشيخ خزعل)،ط٢، بيروت ،١٩٦٥م.

١٣- الشعر الإماراتي الحديث قراءة (سيميائية – ظاهرتية – تأويلية) في شعرية النص (ذياب شاهين)، ط١، دبي ،٢٠١٠م .

١٤- الشيزوفرينيا الإبداعية – مقاربات نقدية في سيميولوجيا النص (د. مشتاق عباس معن)، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام –حكومة الشارقة ،٢٠٠٨م .

١٥- شعراء نجْد المعاصرون (عبدالله أدريس) ، الكويت ،ط٢ ،١٩٨٢م.